أجل، إنه كلمة اللّه الأزلي الذي يصفه يوحنا الرسول في افتتاح الإنجيل المقدس بقوله: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند اللّه، وكان الكلمة اللّه... والكلمة صار جسداً وحلّ فينا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءاً نعمةً وحقاً» (يو١: ١ و١٤)، وهو مشتهى الأجيال ورجاء الأمم ومركز الدائرة في الكتاب المقدس من ألِفه إلى يائه، من تكوينه إلى رؤياه، والمحور الذي تدور حوله النبوات والرموز والإشارات التي أعلنها الأنبياء الصادقون المرسلون من اللّه ودوّنت نبواتهم في أسفار العهد القديم، وتمّت بحذافيرها بالرب يسوع المسيح في الموعد الذي حدّده اللّه الآب لها منذ البدء، وعيّنه تعالى لتجسد ابنه الحبيب، الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس، من الروح القدس والعذراء مريم، هذا الموعد يدعوه الرسول بولس: «ملء الزمان» (غل٤: ٤)، وأعلنه الملاك جبرائيل للنبي دانيال بنحو خمسمائة عام قبل الميلاد بنبوة الأسابيع السبعين بقوله: «سبعون أسبوعاً قُضيَتْ على شعبك وعلى مدينتك المقدّسة، لتكميل المعصية، وتتميم الخطايا، ولكفارة الإثم، وليؤتى بالبر الأبدي، ولختم الرؤيا والنبوة، ولمسح قدوس القدوسين» (دا٩: ٢٤)، وقد دعاه الملاك عندما بشّر العذراء مريم بالحبل به أنه قدوس وابن العلي يدعى، ويصفه الرسول بولس بقوله: «وبالإجماع عظيمٌ هو سر التقوى اللّه ظهر في الجسد، تبرّر في الروح تراءى لملائكة، كُرز به بين الأمم، أومن به في العالم، رُفع في المجد» (١تي٣: ١٦).

وكانت الغاية من تجسده الإلهي أن ينقذ البشر من براثن الخطية الجدّية، ويعيد إليهم الحياة الروحية التي فقدوها في الفردوس بغواية إبليس اللعين لأبي الجنس البشري آدم الذي كان يمثّل نسله في معرض الربح والخسارة، وبهذا الصدد يقول الرسول بولس: «من أجل ذلك كأنما بإنسانٍ واحدٍ دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع» (رو٥: ١٢)، ويردف الرسول بولس كلامه بقوله: «لأنه إن كان بخطيّة الواحد مات الكثيرون فبالأولى كثيراً نعمة اللّه، والعطية بالنعمة التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين... لأنه إن كان بخطيّة الواحد قد ملك الموت بالواحد، فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح» (رو٥: ١٥ و١٧).

وقد لخّص له المجد رسالته السامية بتدبيره الإلهي في الجسد بقوله: «أما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل» (يو١٠: ١٠)، كما قال أيضاً: «لأنه هكذا أحبّ اللّه العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية، لأنه لم يرسل اللّه ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم» (يو٣: ١٦ و١٧).

فالرب يسوع هو وحده المخلص الحقيقي، الذي طأطأ سماء مجده ولبس جسدنا البشري، وأقام الصلح بين الأرض والسماء، لأنه يمثل السماء والأرض في آنٍ معاً، الذي فيه تمّت شروط الكفارة؛ فهو يمثل اللّه تعالى الذي إليه وجهت خطية آدم، كما يمثّل الإنسان الخاطئ وجميع نسله الذين ورثوا تلك الخطية الجدية، وليكون كفارة عنا «فإذ ذاك كان يجب أن يتألم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم ولكنه الآن قد أظهر مرةً عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه» (عب٩: ٢٦)، وبهذا الصدد يقول الرسول بولس عن اللّه الآب: «لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطيةً لأجلنا لنصير نحن برَّ اللّه فيه» (٢كور٥: ٢١)، وهكذا صار بإرادته ذبيحة كفارية عن جنس آدم وبرّرنا وقدسنا واستحق المؤمنون به وبكفارته أن ينالوا نعمة التبني، وكبنين للّه بالنعمة استحقوا أن يصيروا ورثة لملكوته السماوي، فهم المؤمنون بالرب يسوع وقد قبلوه مخلّصاً لهم وللعالم أجمع ويقول عنه الرسول يوحنا في الإنجيل المقدس: «إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله، وأما كلُّ الذين قبلوه فأعطاهم سُلطاناً أن يصيروا أولاد اللّه أي المؤمنون باسمه، الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل بل من اللّه» (يو١: ١١-١٣).

أجل قد نهج الرب يسوع للإنسان طريق السماء، وأعلن عن نفسه أنه هو الطريق والحق والحياة، وبرهن على صدق رسالته الإلهية بتعاليمه السماوية السامية واجتراحه المعجزات الباهرات برهن بها على سلطانه الإلهي على الطبيعة والبشر، وصرّح أمام الجمهور الذي تبعه إلى قبر لعازر أنه هو القيامة والحياة ومن آمن به وإن مات فسيحيا، ومن آمن به وهو حيٌّ يبقى حياً على الأبد (يو١١: ٢٦)، وبذلك أعلن سلطانه على الموت بكل أنواعه: الموت الأدبي الذي هو انفصال الإنسان عن اللّه وقد أعيدت إلى هؤلاء الموتى الحياة الروحية بالتوبة والعودة إلى اللّه الأمر الذي ظهر بقبول الرب يسوع الخطاة التائبين ومنحهم المغفرة كما برهن الرب يسوع على أن له سلطاناً على الموت الطبيعي الذي هو انفصال النفس عن الجسد، إذ أقام الموتى وأعاد نفوسهم إلى أجسادهم. أمّا الموت الأبدي فهو العذاب الأبدي في جهنم والرب يخلّص المؤمنين به ويمنح الحياة الأبدية لمن يشاء، ويظهر ذلك جلياً عندما وصف ذاته أنه خبز الحياة الذي نزل من السماء. وأن هذا الخبز هو جسده